التناسق البياني في القصص القرآني

(دراسة تحليلية لمعرفة اللمسات البيانية، قصة موسى - عليه السلام - بسورتي النمل والقصص)

الطيب سالم بازينة

كلية التربية، جامعة مصراتة، دولة ليبيا، Atiabbazena1983@gmail.com

استلمت الورقة بتاريخ 2021/12/5
وقبلت بتاريخ 2022/1/16
ونشرت بتاريخ 2022/3/20
الكلمات المفتاحية:
(القصص القرآني– موسى- النمل – القصص - البيان)

الملخص

إن تشابه القصص القرآني هو إيراد القصة القرآنية الواحدة في أكثر من موضع، وفي أكثر من سورة، مع اختلاف استعمال الألفاظ والأحداث من موضع إلى آخر، مما جعل المشككين يطعنون في بلاغة القرآن، في جملة من الشبه منها أن القرآن يحوي تكراراً وحشواً وزيادة، ويضربون لذلك مثالاً كقصة نبي الله موسى -عليه السلام-، فيقولون: أنها قد ذكرت في أكثر من موضع وهذا من التكرار والحشو الزائد.
وقد رأينا أن نبحث في أسرار المتشابه حتى نفنّد طعن أهل الأهواء والضلال، وأنه لا يوجد مكرر في القرآن، وأنه كله من قبيل المتشابه، وكل موضع؛ يعالج موضوعاً غير ما يعالجه في موضع آخر؛ ولذلك سنلحظ تغير الأسلوب واللفظ، تبعاً لتلك الدلالات، وتكمن إشكالية الدراسة في كونها تبحث عن كشف البيان والتناسق في القصص القرآني، والغوص في أعماق دلالاته وإعجازه بتحليل النص القرآني لقصة موسى علية السلام في سورتي النمل والقصص، والتمييز بين الإيجاز والإسهاب، فالقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، لأن من خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة.

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يقول الله تعالى: ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الأحقاف: 12] لقد بين الله في كتابه العزيز في أكثر من موضع أن هذا الكتاب بلسان عربي مبين، وأنه بيان للحق، فكان لزاماً بعد ذلك أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي دراستنا هذه سنعمل على كشف هذا البيان والغوص في أعماق دلالاته وإعجازه، خاصة ونحن في زمن ظهر لنا من يطعن في بلاغة القرآن، في جملة من الشبه منها أن القرآن يحوي تكراراً وحشواً وزيادة، ويضرب لذلك مثالاً كقصة موسى -عليه السلام-، فيقول إنها قد ذكرت في أكثر من موضع من القرآن وهذا من التكرار والحشو الزائد.

وقد رأينا أن نبحث في أسرار المتشابه حتى نفد طعن أهل الأهواء والضلال، وأنه لا يوجد مكرر في القرآن[1]، وأنه كله من قبيل المتشابه، ثم أن هذا المتشابه قد تعدد ذكره في أكثر من موضع؛ إلا أنه في كل موضع يعالج موضوعاً غير ما يعالجه في موضع آخر؛ ولذلك ستلحظ تغير الأسلوب واللفظ، وتبعاً لتلك الدلالات، مما يؤكد عدم وجود الحشو والزيادة، هذا من وجه، ومن وجه آخر، فإن اللغة العربية تجيز استعمال المتشابه في الموضع الذي يستحسن فيه ذلك، وسنمر بذلك في حينه.

(1) ومن خلال دراستنا، أن العلماء لا يقولون بالمكرر في القرآن، وينفون وجوده قطعاً، غير أنهم يقولون بالمتشابه وأنه أسلوب من أساليب الإعجاز القرآني، في حين أن بعضهم يستخدمون لفظ المكرر في كتاباتهم قديماً وحديثاً، يستخدمون لفظ المكرر ويقصدون به المتشابه، وبالتالي لا مشاحة في الاصطلاح.

موضوع الدراسة:

تشابه القصص القرآني، هو إيراد القصة القرآنية الواحدة في أكثر من موضع، وفي أكثر من سورة، مع اختلاف استعمال الألفاظ والأحداث، من موضع إلى آخر، وتحليل دلالات القصة القرآنية في كل موضع عن حدة، ثم مقابلتها بالموضع الآخر، حتى يظهر أوجه الخلاف، وتنوع الأهداف والمواضيع والقضايا.

إشكالية الدارسة:
وتكمن إشكالية الدراسة في سؤالها الرئيسي وهو:

كشف البيان والتناسق في القصص القرآني، والغوص في أعماق دلالاته وإعجازه بتحليل النص القرآني لقصة موسى علية السلام في سورتي النمل والقصص، والتمييز بين الإيجاز والإسهاب؟

أسئلة الدارسة:
ويمكن صياغتها على هذا النحو:

1- هل يوجد حوار أو أسلوب أو قصة مكررة؟
2- وإذا كان الأمر غير ذلك، فهل يعد ذلك من ألوان طيف المتشابه؟
3- وإذا كان الأمر كذلك، فهل يعد هذا المتشابه لوناً من ألوان الإعجاز البياني وعنصراً من عناصره؟
4- وإذا كان الأمر كذلك فإنه يلزم السماع من العرب على استخدامهم للمتشابه، على أنه نوع من أنواع الفصاحة والبيان، حتى يكون من جنس المتحدى به؟

أهمية الدراسة:
تكمن أهميتها في معرفة ما تقدم من البيان، وفك الإشكال المتقدم، فإن حصل لنا ذلك فمن الله وحده، ذلك حتى يحصل الرد على المستشرقين وطعنهم في كتاب الله العزيز، بالحجة الواضحة والبينة الكاشفة.

خطة الدراسة:
الفصل الأول:

التعريف بالقصة القرآنية وأثرها في الخطاب التشريعي.

الفصل الثاني:

تحليل النص القرآني في كل من السورتين النمل والقصص، وبيان وجه التقابل بينهما من حيث قصة نبي الله موسى -عليه السلام-.

خاتمة البحث ونتائجه.

قائمة المصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:
كثيرة هي الدراسات السابقة في هذا الموضوع، غير أنها مازالت مبثوثة ومتفرقة هنا وهناك، وقل من كتب في التقابل في القصة الواحدة مع تعدد مواضع السرد، ذلك أنهم يسيرون على من تقدم في تفسير القرآن، فيمر على الآيات بشكل عام دون إعمال أوجه التقابل، ومنهج التقابل حديث قديم نسبياً، ومن أبرز من تحدث فيه قديماً الإمام الخطيب الإسكافي في كتابه ذرة التأويل وغرة التنزيل، والزمخشري في تفسيره، وأما المتأخرون:

أ- أسرار التكرار في القرآن، المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة الكرماني.
ب- المحرر الوجيز، لابن عطية.
ج- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي.
د- التحرير والتنوير، لابن عاشور.
ه- لمسات بيانية، لفاضل صالح السامرائي، وغير ذلك كثير.

أولا: التعريف بالقصة القرآنية وأثرها في الخطاب التشريعي:

في بيان المدلول وضبطه:

بداية يمكننا القول، بأن القصة لغة " قَصَّ أثرَه، أي تتبَّعه. وكذلك اقْتَصَّ أثرَه، وتَقَصَّصَ أثرَه. والقِصَّةُ: الأمرُ والحديث، وقد اقْتَصَصْتُ الحديث: رويته على وجهه، والاسمُ أيضاً القَصَصُ بالفتح، والقِصَصُ، بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب"[1].

والقِصَّةُ:" وَالْقِصَّةُ الشَّأْنُ وَالْأَمْرُ، يُقَالُ: مَا قِصَّتُكَ؟ أَيْ: مَا شَأْنُكَ؟ وَالْقُصَّةُ بِالضَّمِّ الطُّرَّةُ وَهِيَ النَّاصِيَةُ وَالْقَصَّةُ بِالْفَتْحِ الْجِصُّ بِلُغَةِ الْحِجَازِ"[2]، القصص مصدر، قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾[3]؛ أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به.

وقصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع أثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه في حياتهم وعصورهم[4].

في بيان أثر المدلول في الخطاب التشريعي:

أنواع القصص القرآني:

النوع الأول:

قصص الأنبياء وقد تضمن هذا النوع دعوى الأنبياء لقومهم والمعجزات التي أيدهم الله تعالى بها، وموقف المعاندين من قومهم لهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة كل من المؤمنين والمكذبين، كما ورد ذلك في القرآن الكريم في قصة نوح، وإبراهيم، وموسى وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين[5]، عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون وأصحاب السبت، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل، ونحوهم[6].

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقت في زمن رسول الله -ﷺ- كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء ونحو ذلك[7].

أغراض القصة:

أولاً-إثبات النبوة:

الهدف الأكبر والأعظم للقصص في القرآن هو إثبات نبوة النبي -ﷺ-، وأن القرآن وحي يوحى من الله -ﷻ- والنبي -ﷺ- أمّيّ لا يقرأ ولا يكتب، وقومه كذلك أميون، قال الله -تعالى-: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[8].

ولم ينشأ بين أهل الكتاب، ولا خالط أحد من أهل العلم بالكتاب السابق، فلما جاء بهذه الأخبار ينبئ بها نبأ الأنبياء مع أممهم، فيطابق ما كان عند أهل الكتاب صواباً لم يدخله خطأ، فدل على أنه لا يمكن إلا أن يكون تلقياً من عالم الغيب والشهادة[1].

([1]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ-1987م، 1051/6.

([2]) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية، بيروت، ب.ط، د.ت، 505/2.

([3]) سورة الكهف: 64.

([4]) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف، ط3، 1421هـ-2000م، 316/1، 317.

([5]) نفحات من علوم القرآن، لمحمد معبد 106/1.

([6]) مباحث في علوم القرآن، 317/1.

([7]) المصدر نفسه، 317/1.

([8]) سورة هود: 49.

ثانياً-العبرة والموعظة:

العبرة والموعظة في بيان مدى قدرة الله -ﷻ- وبالغ جبروته وسطوته، والكشف عمّا حاق بالأمم الماضية من فنون العذاب والهلاك، لتجبّرها وعنادها واستكبارها على الحق، ومن الأمثلة على ذلك، تلك القصص المتتالية السريعة كسورة القمر، وهو الكشف عن جبروت الله -ﷻ- وبالغ قدرته، قوله -تعالى-: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾[2]، والتنبيه إلى أن الدين السماوي الذي بعث به الأنبياء واحد، وأن رسالات الرسل والأنبياء واحدة لا تعارض فيها ولا اختلاف، وأن بعثة هؤلاء الرسل إنما كانت لتأكيد حقيقة واحدة لا خلاف حولها[3]، قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾[4].

ثالثاً- تثبيت فؤاد الرسول -ﷺ-:

تثبيت فؤاد الرسول -ﷺ- في مجال الدعوة، وحمله على الصبر على ما قد يراه من أذى قومه، وبيان أن الله -ﷻ- ينصر رسله مهما نزل بهم من العذاب وطاف حولهم من البلاء، ما يدعوه إلى التحمّل والصبر ويبثّ في قلبه روحاً من الطمأنينة والنشاط، قال -تعالى-: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[6].

التعريف بنبي الله موسى -عليه السلام- وذكر شيء من فضائله:

هو نبي الله موسى -عليه السلام- ابْنُ عِمْرَانَ بن قَاهِثَ بن عازر بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم -لإ-[7]، وهو من أنبياء بني إسرائيل، أرسله الله -ﷻ- لقومه وللمصريين، وهو من أولي العزم الذين خصهم الله -ﷻ- بالعزم القوي، والصبر الجميل، والتحمل الشديد؛ ففي قصته عبر وفوائد، وبخاصة أن أتباعه من بي إسرائيل مازالوا يدعون تبعيتهم له، واليهود منهم يتصورنه خاصاً بهم[8].

فضله -عليه السلام-:

من فضله أن قصته ذكرت في مواضع متعددة مبسوطة مطـــــولـة وغير مطولة[9]، قـال -ﷻ-: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾[10]، وقد ذكر صاحب كتاب البداية والنهاية في بيان فضل موسى -عليه السلام-آيات وأحاديث وكلاماً للسلف[11] منها:

([1]) علوم القرآن الكريم، نور الدين الحلبي، مطبعة الصباح، دمشق، ط1، 1414هـ-1993م، 240/1، 241.

([2]) سورة القمر: 42-45.

([3]) من روائع القرآن: تأملات عليمة وأدبية في كتاب الله -ﷻ-، محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ب.ط، 1420هـ-1999م، 192/1-194.

([4]) سورة الأنبياء: 92.

([5]) سورة الأحقاف: 35.

([6]) سورة ص: 17.

([7]) قصص الأنبياء، لابن كثير القرشي الدمشقي، تح: مصطفى عبدالواحد، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط1، 1388هـ-1968م، 3/2.

([8]) دعوة الرسل -لإ- أحمد الغلوش، مؤسسة الرسالة، ط1، 1423هـ-2002م، 264/1.

([9]) الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم الجزري، تح: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ-1997م، 150/1.

([10]) سورة مريم: 51-53.

([11]) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر، ب.ط، 1407هـ-1986م، 312/1-315.

قال الله -ﷻ-: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[1]، وقال -ﷻ-: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[2]، قال النبي -ﷺ-: "لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى[3]، وقال -ﷻ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾[4].

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ..."[5] الحديث.

وفي الخبر الصحيح أن رسول الله -ﷺ- قال "قسم قسما فقال رجل إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبي -ﷺ- فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: "يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر"[6]، وفي الصحيح أيضاً أن النبي -ﷺ- "مرّ ليلة أسرى به بموسى في السماء السادسة فقال له جبريل: هذا موسى فسلم عليه، قال: فسلمتُ عليه، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك، قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمتهِ أكثر مما يدخلها من أمتي"[7].

واتفقت الروايات كلها على أن الله تعالى لما فرض على محمد -ﷺ- وأمته خمسين صلاة في اليوم والليلة، فمر بموسى قال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فإني قد عالجت بني إسرائيل قبلك أشد المعالجة، وإن امتك أضعف أسماعاً وأبصاراً وأفئدةً، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل، ويخفف عنه في كل مرة حتى صارت إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، وقال الله تعالى: هي خمس وهي خمسون أي بالمضاعفة، فجزى الله عنا محمد -ﷺ- خيرا وجزى الله عنا موسى عليه السلام خيراً.

قالت عائشة رضي الله عنهما: "فرجع النبي -ﷺ- إلى خديجة يرجف فؤاده، فانطلقت به إلى ورقة بن نوفل، وكان رجلاً تنصر، يقرأ الإنجيل بالعربية، فقال ورقة: ماذا ترى؟ فأخبره، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، وإن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً" الناموس: صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره"[8].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ، لما قدم المدينة، وجدهم يصومون يوما، يعني عاشوراء، فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجّى الله فيه موسى، وأغرق آل فرعون، فصام موسى شكراً لله، فقال (أنا أولى بموسى منهم فصامه وأمر بصيامه) [9].

ثانيا: التعريف بكل من سورتي النمل والقصص

التعريف بسورة النمل

من أشهر أسمائها "سورة النمل" وتسمى أيضاً "سورة سليمان"،[1] ووجه الأسماء الثلاثة أن لفظ الهدهد لم يذكرا في سورة من القرآن غيرها، وأما تسميتها "سورة سليمان" فلأن ما ذكر فيها من ملك سليمان مفصلا لم يذكر مثله في غيرها.

([1]) سورة مريم: 51.

([2]) سورة الأعراف: 144.

([3]) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري –ط–، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة، ر: 2412، 2412/3.

([4]) سورة الأحزاب: 69.

([5]) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة –ط–، كتاب أحاديث النبي، باب حديث الخضر مع موسى –عليهما السلام–، ر:3404، 156/4.

([6]) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله، كتاب الدعوات، باب قول الله تعالى (وصل عليهم)، ر: 6336، 73/8.

([7]) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث، أنس بن مالك، كتاب الأنصار. باب المعراج، ر: 3887، 52/5.

([8]) أخرجه البخاري من صحيحه، من حديث عائشة رضي الله عنها، 3392، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب موسى....)، 151/4.

([9]) أخرجه البخاري من صحيحه، من حديث عائشة رضي الله عنها، 3392، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (وهل أتاك حديث موسى)، 153/4.

نزولها: مكية، نزلت بعد سورة الشعراء، وعدد آياتها: ثلاث وتسعون آية، وقيل وأربع وتسعون، وقيل خمس وتسعون، وعدد كلماتها: ألف ومائة وتسعون وأربعون كلمة، وعدد حروفها: أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفاً[2].

مقاصد السورة وأهدافها:

وصف هذا الكتاب بالكفاية، لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط والمستقيم، وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين، لإحاطة علم منزله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين، وكل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة، فالمقصود الأعظم منها: إظهار العلم والحكمة، كما كان مقصود التي قبلها: إظهار البطش والنقمة، وأدل ما فيها على هذا المقصود: ما للنمل من حس التدبير وسداد المذاهب في العيش، ولا سيما ما ذكر عنها سبحانه من صحة القصد في السياسة، وحسن التعبير عن ذلك القصد، وبلاغه التأدية[3].

أغراض السورة:

افتتاحها بما يشير إلى إعجاز القرآن ببلاغة نظمه وعلو معانيه، بما يشير إليه الحرفان المقطعان في أولها، والتحدي بعلم ما فيه من أخبار الأنبياء، وفي ذلك إيماء إلى أن نبوءة محمد-ﷺ- رسالة تقارنها سياسية الأمة ثم يعقبها ملك، وهو خلافة النبي -ﷺ-[4].

قال بعض أهل العلم: ليس في هذه السورة إحكام ولا نسخ. ونفيه أن يكون فيها إحكام ولا نسخ معناه أنها لم تشتمل على تشريع قارٌ ولا على تشريع منسوخ. وقال البعض الآخر في تفسير آية ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾النمل: 91 – 92 ، الآية نسختها آية القتال، فالآية النازلة بالقتال في سورة البراءة. (5)

مناسبة السورة وعلاقتها بما قبلها:

كانت الآيات التي ختمت بها سورة الشعراء، دفاعاً عن القرآن الكريم، من ان يكون من واردات الشعر، كما كانت دفاعاً عن النبي، أن يكون من زمرة الشعراء.. وكان بدء سورة النمل.. حديثاً عن هذا القرآن، الذي هو منقطع عن كل سبيل يصله بالشعر، حيث إنه هدى وبشرى للمؤمنين الذين يؤمنون، يتعاملون بأحكامه وآدابه، على حين أن الشعر يقوم عموده على غير هذا الموارد التي يردها الشعراء، وأن النبي-ﷺ- يتلقى هذا القرآن وحياً من لدن حكيم عليم ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ النمل: 6، فالمناسبة بين بدء سورة النمل، وختام سورة الشعراء، ظاهرة والالتحام بينهما قوي[6].

التعريف بسورة القصص:

سميت سورة القصص ولا يقرع لها اسم آخر. ووجه التسمية بذلك وقوع لفظ القصص فيها عند قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ القصص: 25، فالقصص الذي أضيفت إيه السورة هو قصص موسى الذي قصه على شعيب عليهما السلام فيما لقيه في مصر قيل خروجه منها، فلما حكي في السورة ما قصه موسى كانت هذه السورة ذات قصص لحكاية قصص، فكان القصص متوغلا فيها[7].

([1]) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ، ب ط، 215/19.

([2]) التفسير القرآني، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ب ط، 205/10.

([3]) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد الصور، إبراهيم بن عمر البقاعي، كتبة المعارف– الرياض، ط1/ 1408هـ– 1987م، 333/2.

([4]) التحرير والتنوير، 19/ 215–216.

([5]) المصدر السابق 19/ 215–216.

([6]) التفسير القرآني للقرآن، 205/10.

([7]) التحرير والتنوير، 61/20.

نزولها: مكية باتفاق، وعدد آياتها: ثمان وثمانون.. بلا خلاف، وعدد كلماتها: ألف وأربعمائة، وواحد، وعدد حروفها: خمسة آلاف وثمانمائة حرف[1].

أسباب نزول بعض آياتها:

جاء في ذكر أسباب نزول بعض آيات هذه السورة عند صاحب كتاب الصحيح المسند من أسباب النزول قوله[2] في آية: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ القصص: 51. وآية ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ القصص: 56، قال الجعبري[3] وغيره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ القصص: 58. قال يحي بن معاد: جاء جاء جبريل إلى النبي-ﷺ- لما هاجر، وهو بالجحفة، فقال: يا محمد أتشتاق إلى بلادك التي ولدت فيها؟ فقال: نعم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾القصص: 85. [4] وعن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال: قال: قال رسول الله -ﷺ- لعمه عند الموت: قل لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله فأبى، فأنزل الله[5] ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ القصص: 56.

مقاصد السورة وأهدافها:

التواضع لله، والأيمان بالآخرة، الناشئ عن الإيمان بنبوة محمد-ﷺ- الثابتة بإعجاز القرآن[6].

أغراضها:

التنويه بشأن القرآن والتعريض بأن بلغاء المشركين عاجزون عن الإتيان بسورة مثله، وعلى تفصيل ما أجمل في سورة القصص كيف كانت تربية موسى في آل فرعون، وبين فيها سبب زوال ملك فرعون[7]، وإلى إثبات قدرة الله تعالى، ورعايته للمؤمنين فهو سبحانه الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، المتفرد بالحكم والقضاء، قد آزر موسى وحيداً فريدا طريداً، ونجاه من بطش فرعون، وأغرق فرعون وجنوده، كما أهلك قارون وقومه[8]، وفيها تفصيل ما أجمل في سورة النمل من قوله: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ النمل: 5، ففصلت سورة القصص كيف سار موسى وأهله وأين آنس النار، ووصف المكان الذي نودي فيه بالوحي، إلى أن ذكرت دعوة موسى فرعون، فكانت هذه السورة أوعب لأحوال نشأة موسى إلى وقت إبلاغه الدعوة ثم أجملت ما بعد ذلك؛ لأن تفصيله في سورة الأعراف وفي الشعراء، وقد كان سوق تلك القصة إنما هو للعبرة والموعظة ليعلم المشركون سنة الله في بعثة الرسل.

وتحدى المشركين بعلم النبي-ﷺ- بذلك وهو أمّي لم يقرأ ولم يكتب ولا خالط أهل الكتاب، ذيّل الله ذلك بتنبيه المشركين إليه وتحديرهم من سوء عاقبة الشرك وأندرهم إنذارا بليغاً[9].

مناسبة السورة لما قبلها

جاء في سورة الشعراء، ثم في سورة النمل، السابقتين على هذه السورة- حديث موجز عن موسى وفرعون، فقد جاء في الشعراء قول فرعون لموسى: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ الشعراء: 18-19، وجاء في هذه السورة – القصص- بيان مفصل لهذه الفترة من حياة

([1]) التفسير القرآني، 306/10.

([2]) الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل بن هادي بن مقبل الوادعي، مكتبة ابن تيمة– القاهرة، ط1408/4هـ–1987م، ص158.

([3]) الحديث أخرجه الطبراني ج5/ ص46–47.

([4]) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، 336/2.

([5]) أخرجه مسلم من صحيحه، من حديث أبي هريرة، كتاب الإيمان، باب أول الإيمان لا إله إلا الله، ر، 25، 55/1.

([6]) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، 338/1.

([7]) التحرير والتنوير، 62/20.

([8]) الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، تحقيق: عبدالعزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية– بيروت، ط1/ 1420هـ، ج6، ص212.

([9]) التحرير والتنوير، 62/20.

موسى، تحدثت عن مولده، وإلقائه في اليم، والتقاط آل فرعون له، ونشأته في بيت فرعون تمنّى له، ثم قتله المصري، ثم فراره إلى مدين، وهذه الأحداث كلها قد طويت طيا في الآيتين السابقتين من سورة الشعراء، وجاء في سورة النمل): ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ الآية 7، ولم يذكر فيها من هم أهله؟ ومن أين جاءوا؟ وما جهتهم معه؟ فجاء في سورة القصص فرار موسى إلى أرض مدين، ولقاءه شعيباً، وتزوجه بإحدى ابنتيه اللتين لقيهما على ماء مدين، وسقى لهما... كما سنرى ذلك مفصلا في هذه السورة[1].

وتستغرق قصة موسى عليه السلام، حيزاً من سورة القصص، فمن بداية السورة إلى [الآية 48]، تجد حديثاً مستفيضاً عنه، أي أن معظم سورة القصص، يتناول قصة موسى عليه السلام والحكمة في ذلك، أن هذه السورة نزلت في مكة، في مرحلة قاسية، كان المسلمون فيها قلة مستضعفة، والمشركون أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان، فنزلت هذه السورة تضع الموازين الحقيقة للقوى والقيم، وتقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوة الله سبحانه، وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي الإيمان، فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له ولا طمأنينة، ولو ساندته القوى جميعاً. [2]

ثالثا: تحليل نص القصة في السورتين وتقابل المدلولات البيانية:

كانت السور منها القصار ومنها الطوال، والتجميع بترتيب من الوحي الإلهي، فهو من توفيق الله تعالى ووحيه، وإن وضع الآيات بعضها بجوار بعض من وحي الله تعالى أبضاً؛ إذ كانت الآية إذا نزلت على النبي-ﷺ- أمر بوضعها في مكانها من السورة التي يعنيها بالوحي النازل عليه، فإن ذلك من الإعجاز؛ فالآيتان المتلاصقتان مع أنهما قد تكونا نزلتا في زمنين متباعدين، نجد أن كل واحدة تقف للأخرى، فهما صنوان متلازمان، وذلك من سر الإعجاز ودلائله، إذ إن التناسق البياني بينهما متصل، والمعاني متلاقية، وكل واحدة منها تتم للأخرى بحيث لا يتصور القارئ للقرآن الكريم أن بينهما فارقاً زمنياً في النزول، وبجانب ذلك قد نجد في القرآن تشابها، وهو من تصريف البيان، لا من الإطناب المجرد؛ إنما هو لمقاصد ولتوجيه النظر، ولقد لاحظ ذلك الأقدمون الذين تكلموا في سر الإعجاز. [3]

سأحاول هنا تأصيل القواعد في بيان نوع الخطاب وآلية القصة في كل من السورتين" بداية ومن خلال قراءة نص السورتين نلحظ أن هناك جلة من أنواع الخطاب تختلف كل منها عن الآخر بحسب موضوع كل سورة، وتبعا لذلك يختلف نوع السرد في القصة، ومن ثم ينتفي قول القائل بوجود المكرر في القرآن هذا من وجه، ومن وجه آخر فإننا سنعتمد هذه الأساليب قواعد لفك المتشابه في السورتين بعد ذلك، وهذ القواعد:

1- أن سورة النمل كانت خطابا للكافرين وسورة القصص للمؤمنين، وعليه سنلحظ التغير في أسلوب الخطاب في كل من السورتين مع أن القصة واحدة في الكل.
2- أن الذي ورد من سورة القصص هو كل ما ورد عن قصة موسى، وأما ما ذكر من سورة النمل فهو جزء يسير من القصة، فلقد وردت القصة مفصلة في سورة القصص ابتداء من قبل أن يأتي موسى إلى الدنيا إلى ولادته، وإلقائه في اليم، والتقاطه من آل فرعون، وإرضاعه، ونشأته، وقتله المصري، وهربه من مصر إلى مدين، وزواجه وعودته بعد عشر سنين، وإبلاغه بالرسالة من الله رب العالمين، وتأييده بالآيات، ودعوته فرعون إلى عبادة الله، إلى غرق فرعون في اليم، وذلك من الآية الثانية إلى الآية الثالثة الأربعين[4]، فالقصة فالقصة في سورة القصص مفصلة مطولة، أما في سورة النمل موجزة مجملة، وتبعا لذلك ستختلف الألفاظ والتعبير في كل من السورتين تبعا لإيجاز أو الاسهاب[5].
3- ثم أنك قد فملت أن القرآن يتخذ من الجمال الفني أداة لتحقيق التوجيهات والعظمات، والإعلان بها في ثنايا القصة وختامها وما الإعجاز في مجموع مظاهره وأنواعه إلا سبيل لتحقيق ذلك[6].
4- أن المقام في سورة النمل مقام تكريم لموسى أوضح مما ه في القصص، ذلك أنه في سرد القصص كان جو القصة مطبوعا بطابع الخوف الذي يسيطر على موسى عليه السلام، بل إن جو الخنوع كان مقترنا بولادة

([1]) المصدر نفسه، 62/20.

([2]) الموسوعة القرآنية خصائص السور، 210/6

([3]) المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، باب التكرار في القرآن، 1-119

([4]) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، 71/1

([5]) المصدر نفسه، 71/1

([6]) علوم القرآن الكريم، للحلبي ، 248/1.

موسى عليه السلام، فقد خافت أمه فرعون عليه، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ﴾القصص: 7، ويستبد بها الخوف أكثر حتى يصفها رب العزة بقوله: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ القصص: 10.

ثم ينتقل الخوف إلى موسى عليه السلام، وذلك بعد قتله المصري: ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ القصص: 18، فنصحه أحد الناصحين بالهرب من مصر لأنه مهدد بالقتل: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ القصص: 21، وطلب من ربهم أن ينجيه من بطش الظالمين: ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ القصص: 21، فهرب إلى مدين، وهناك اتصل برجل صالح فيها، وقص عليه القصص فطمأنه قائلا: ﴿ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ القصص: 25.

هذا الطابع -أي طابع الخوف- يبقى ملازما للقصة إلى أواخرها، بل إنه حتى لما كلفه ربه بالذهاب إلى فرعون راجعه وقال له: إنه خائف على نفسه من القتل: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ القصص: 33، وطلب أخاه ظهرا له يعينه ويصدقه؛ لأنه يخاف أن يكذبوه: ﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ القصص: 34.

فبني الكلام في سورة النمل على القطع ﴿ سَآتِيكُمْ ﴾ ، وفي القصص على الترجي ﴿لعلي آتيكم﴾ ، وذلك أن مقام الخوف في القصص لم يدعه يقطع بالأمر، فإن الخائف لا يستطيع القطع بما سيفعل بخلاف الآمن، ولما لم يذكر الخوف في سورة النمل بناه على الوثوق والقطع بالأمر[1]، ومن ناحية أخرى: إن ما ذكره في النمل هو المناسب لمقام التكريم لموسى عليه السلام، بخلاف ما في القصص[2]، ومن ناحية ثالثة: إن كل تعبير مناسب لحو السورة الذي وردت فيه القصة، ذلك أن الترجي من سمات سورة القصص، والقطع من سمات سورة النمل، فقد جاء في سورة القصص قوله تعالى:﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ وهو ترج، وقال: ﴿ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ وهو ترج أيضاً، وقال: ﴿ لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ وقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾، وقال: ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾، وقال: ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ثلاث مرات في الآيات 43،46،51، وقال: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ وقال: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ وهذا ترج، وذلك في عشرة مواطن في حين لم يرد الترجي في سورة النمل، إلا في مواطنين وهما في قوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ وقوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

وقد تردد القطع واليقين في سورة النمل، من ذلك قوله تعالى على لسان الهدهد: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ النمل: 22، وقوله على لسان العفريت لسليمان عليه السلام: ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾ النمل: 39، وقله على لسان الذي عنده علم من الكتاب: ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ النمل: 40، وكرر فعل الإتيان في النمل، فقال: ﴿ سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ ﴾ ولم يكرره في القصص، بل قال: ﴿ لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ ﴾[3]

([1]) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، 72/1.

([2]) المصدر نفسه، 73/1.

([3]) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، 73/1.

وفي إطار هذا كله فإن القصة لا ترد في القرآن بتمامها دفعة واحدة، بل يقتصر على الجزء الذي يناسب الغرض الذي تساق القصة لأجله[1]، فالقصة في القرآن ليست عملا فينا مقصودا لذاته، وإنما هي مسوقة لغرض ديني مهما تنوعت أقسامه وتفرعت أشكاله.

تحليل نص القصة في سورتي النمل والقصص:

ففي سورة النمل قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ الآية 6، حين قال موسى (لأهله) وهو في مسيره من مدين إلى مصر، وقد آذاهم برد ليلهم [2] الجملة استئناف ابتدائي، ومناسبة موقعها إفادة تنظير تلقي النبي-ﷺ- القرآن بتلقي موسى عليه السلام كلام الله، وذلك من بديع التخلص إلى ذكر قصص هؤلاء الأنبياء ما فيه مثل لك ولقومك وما يثبت به فؤادك[3].

﴿ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ أي أبصرت نارا أو أحسستها[4]، فامكثوا مكانكم ﴿ سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ يعني من النار، ﴿ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ بمعنى: او آتيكم بشعلة نار أقتبسها منها[5]، ثم إنه في النمل قال: ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ وفي القصص ﴿ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ﴾ القصص: 29. فزاد: ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ﴾ وذلك لمقام التفصيل الذي بنيت عليه القصة في سورة القصص[6].

ثم إنه في سورة النمل قال: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ وقال في سورة القصص: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ بزيادة امكثوا، وهذه الزيادة لمقام التفصيل الذي بنيت عليه القصة بخلاف القصة في النمل المبينة على الإيجاز[7]، والشهاب: الجمر المشتعل، والقبس: شعلة نار تقبس، أي يؤخذ اشتعالها من نار أخرى ليشعل بها بها حطب أو ذبالة نار أو غيرها[8]، يقول: إني رأيت نارا، وهو نور رب العزة جل ثناؤه، سأتيكم منها بخير، وقد كان تحيز وترك الطريق[9].

وقال في النمل: ﴿ سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ النمل8، وقال في القصص: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ القصص: 29، فبني الكلام في النمل على القطع سأتيكم، وفي القصص على الترجي لعلي آتيكم، وذلك أن مقام الخوف في القصص لم يدعه يقطع بالأمر، ثم إنه أكد الإتيان في سورة لنمل لقوة يقينية وثقته بنفسه، والتوكيد يدل على القوة، في حين لم يكرر فعل الإتيان في القصص مناسبة لجو الخوف[10].

وقال في سورة النمل: ﴿ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ 7، وقال في القصص: ﴿نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ 29، فذكر في سورة النمل أنه يأتيهم بشهاب قبس، والشهاب: هو الشعلة من النار ساطعة، (ق ب س): قبس نارا يقبسها أي أخذها من معظمها، وقبس علما تعلمه، والقبس بفتحتين شعلة من نار يقتبسها الشخص[11].

([1]) علوم القرآن الكريم، 247/1-248.

([2]) تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، أبوجعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1420/1هـ-2000م،224/9.

([3]) التحرير والتنوير، 224/19.

([4]) تفسير مقاتل ين سليمان، طبعة دار الكتب العملية، 471/470/2.

([5]) تفسير الطبري، 426/19.

([6]) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل،72/1.

([7]) المصدر نفسه 72/1.

([8]) التحرير والتنوير، 224/19.

([9]) تفسير مقاتل بن سليمان، 471/470/2.

([10]) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، 74/1.

([11]) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، 487/2.

والمجيء بالشهاب أحسن من المجيء بالجمرة؛ لأن الشهاب يدفئ أكثر من الجمرة لما فيه من اللهب الساطع، كما أنه ينفع في الاستنارة أيضا، فهو أحسن من الجدوة في الاستضاءة والدفء، أما في القصص فقد ذكر أنه ربما أتى بجمرة من النار، ولم يقل إنه سيقبسها منها[1].

والجدوة الجمرة الملتهبة وتضم الجيم وتفتح، وتكسر في الجمع[2]، والجذوة قد تكون قبسا وغير قبس، ولاشك أن الحالة الأولى أكمل وأتم لما فيها من زيادة نفع الشهاب على الجذوة، ولما فيها من الدلالة على الثبات وقوة الجنان، وقد وضع كل تعبير في موطنه اللائق به، ففي موطن الخوف ذكر الجمرة، وفي غير موطن الخوف ذكر الشهاب والقبس[3].

وقال في النمل: ژ يا موسى ژ وقال في القصص: ژ أن يا موسى ژ فجاء بـ (أن) المفسرة في القصص، ولم يأت بها في النمل، وذلك لأكثر من سبب:

- منها أن المقام في النمل مقام تعظيم لله سبحانه، وتكريم لموسى فشرفه بالنداء المباشر، في حين ليس المقام كذلك في القصص، فجاء بما يفسر الكلام، أي: ناديناه بنحو هذا.
- ومنها أن المقام في سورة القصص مقام تبسيط وتفصيل، فجاء بـ(أن) زيادة في التبسيط.
- ومنها أن تقل التكليف في النمل يستدعي المباشرة في النداء، ذلك أن الموقف يختلف بحسب المهمة وقوة التكليف كما هو معلوم[4].

وقال في سورة النمل: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ الآية 9، وقال في سورة القصص: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الآية 30، فجاء بضمير الشأن الدال على التعظيم في آية النمل ﴿إنه أنا﴾ ولم يأت به في القصص، ثم جاء باسميه الكريمين (العزيز الحكيم) في النمل زيادة في التعظيم، ثم إن فرعون حاكم متجبر يرتدي رداء العزة، وقد أقسم السحرة بعزته قائلين: ﴿ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ الشعراء: 44، فاختار من بين أسمائه (العزيز) معرفا بالألف اللام على أنه هو العزيز ولا عزيز سواه، و(الحكيم) للدلالة على أنه لا حاكم ولا ذا حكمة سواه، فهو المتصف بهذين الوصفين على جهة الكمال حصرا، وفي تعريف هذين الاسمين بالألف واللام من الدلالة على الكمال والحصر، ما لا يخفي ما لو قال (عزيز حكيم) فإنه قد يشاركون فيهما آخرون[5].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا .....﴿٨﴾ ﴾ النمل8؛ أي النار، وهو نور رب العزة تبارك وتعالى[6] ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾ يقول: كي تصطلون بها من البرد، وقوله: ﴿ نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ النمل:8، عن ابن عباس يقول: قدس، واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله :﴿ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ ، وكانت النار نوره تعالى، ذكره في قول جماعة من أهل التأويل، فعن ابن عباس في قوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ النمل: 8، يعني نفسه: قال: كان نور رب العالمين في الشجرة، وعن سعيد بن خيبر قال: ناداه وهو في النار، وعن الحسن قالك: هو النور، قال معمر: نور الله بورك، وقال آخرون: بل معنى ذلك: بوركت النار[7]، وعن جاهد: ﴿ نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي فِي ٱلنَّارِ ﴾ بوركت النار، كذلك قاله ابن عباس، ومن في النار مراد به موسى فإنه لما حل في موضع النور صار محيطا به، فتلك الإحاطة تشبه إحاطة الظرف بالمظروف، فعبر عنه بمن في النار وهو نفسه، والعدل عن ذكره

([1]) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، 75/1.

([2]) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، 94/1.

([3]) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، 75/1.

([4]) المصدر نفسه، 85/1.

([5]) المصدر نفسه، 85/1

([6]) تفسير مقاتل بن سليمان، 471/470/2.

([7]) تفسير الطبري، 422/19.

بضمير الخطاب كما هو مقتضى الظاهر، لأن في معنى صله الموصول إيناسا له وتلطفا[1]، كقول النبي-ﷺ- لعلي "قم آبا تراب" فهذا التبريك تبريك ذوات لا تبريك مكان، بدليل ذكر من الموصولة في الموضعين[2].

ثم إنه قال في النمل ﴿ نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ النمل: 8، ولم يذكر مثل ذلك في القصص، بل ذكر جهة النداء فقط، وذلك لأن الموقف في النمل موقف تعظيم[3]، وقوله: ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ عطف على ما نودي به موسى على صريح معناه إخبارا بتنزيه الله تعالى عما لا يليق به من أحوال المحدثات، ليعلم موسى أمرين: أحدهما أن النداء وحي من الله تعالى، والثاني أن الله منزه عما عسى أن يخطر بالبال أن جلالته في ذلك المكان[4]، وقوله: ﴿ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ يقولك ومن حول النار، وعن ابن عباس: ﴿ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ قال: قني الملائكة، ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ في نقمته من أعدائه (الحكيم) في تدبيره في خلقه.

وذكر في القصص جهة النداء فقال: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ ولم يذكر في النمل، كذلك لأن موطن القصص موطن تفصيل، وموطن النمل موطن إيجاز[5]، ثم إنه جل في علاه قال في القصص: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡ ﴾، بزيادة (أقبل) على ما في النمل، وفي ذلك وجوه منها: أن مقام الإيجاز في النمل يستدعي عدم الإطالة، بخلاف مقام التفصيل في القصص، ومنها أن شيوع جو الخوف في القصص يدل على إيغال موسى في الهرب، فدعاه إلى الإقبال وعدم الخوف [6]،وهو قوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾، وفي القصص اقتصر على قوله لا تخف، ولم يبين عليه السلام كلام فزيد قبله أقبل ليكون في مقابلة مديرا ولا تخف فخصت هذه السورة به.

وقال في النمل: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ وقال في القصص: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴾ ذلك أن المقام في السورة القصص مقام الخوف، والخائف يحتاج إلى الأمن فأمنه قائلا: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴾ [7]، وأما في سورة النمل فالمقام مقام التكريم والتشريف، فقال: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ وهذا تكريم وتشريف، وأيضا لفظ: (لدي) مشعر بالقرب، وهو زيادة في التكريم والتشريف، وذكر بعض أهل العلم أن في قوله: ﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَ ﴾ وفي القصص ﴿ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَ ﴾ لأن في هذه السورة ﴿ نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ وَأَلۡقِ عَصَاكَ ﴾ فحيل بنهما بهذه الجملة فاستغنى عن إعادة أن[8]، وقيل جاء بـ(أن) المفسرة أو المصدرية لزيادة البيان[9].

وقوله: ﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ ﴾ وفي الكلام محذوف ترك ذكره، استغناء بما ذكر عما حذف، وهو فألقاها فصارت حية تهتز ﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ ﴾ يقول: كأنها حية عظيمة، والجان: جنس معروف،

([1]) التحرير والتنوير، 226/19.

([2]) المصدر نفسه، 227/19.

([3]) لسات بيانية في نصوص من التنزيل، 85/1.

([4]) المصدر نفسه، 227/19.

([5]) المصدر نفسه، 84/1.

([6]) المصدر نفسه، 85/1.

(7) لسات بيانية في نصوص من التنزيل، 92/1.

([8]) أسرار التكرار فيا لقرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، 191/1.

([9]) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، 85/1.

والتشبيه في سرعة الاضطراب لأن الحيات خفيفة التحرك، وأما تشبه العصا بالثعبان في آية الأعراف ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ الآية 108، فذلك لضخامة الجرم[1]، وقوله: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ ولى موسى هاربا خوفا منها﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ عند مجاهد في قول الله: ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ قال: لم يرجع، وعن معمر عن قتادة قال: لم يلتفت، وبعض أهل العلم قال: هذا من باب التدريب على مراحل، حيث جاء عن ابن وهب قال: ابن زيد في قوله: ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ قال: لم يرجع لما أبقي العصا سارت حية فرعب منها وجزع، فقال الله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ قال: فلم يرعوا لذلك، قال: فقال الله له: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ﴾ قال: فم يقف أيضا على شيء من هذا حتى قال: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ قال: فالتفت فإذا هي عصا كما كانت، فرجع فأخذها، ثم قوي بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها[2]. والتولي: الرجوع عن السير في طريقه، ولعل قصد إفادة قوة وليه لما رأى رأى عصاه تهتز هو الداعي لتأكيد فعل ولي بقوله: ﴿ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ والإدبار: التوجيه إلى جهة الخلف وهو ملازم للتولي، والتعقيب: الرجوع بعد الانصراف، أي تأكيد لشدة توليه، أي ولى توليا قويا لا تردد فيه[3].

ثم قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ النمل: 11، أي إلا من ظلم نفسه من الرسل، فإنه يخاف، فكان منهم آدم، ويونس وسليمان، وأخوه يوسع، وموسى بقتله النفس عليهم السلام، ثم بدل حينا بعد سوء أي فمن بدل إحسانا بعد إساءته فإني غفور رحيم[4]، وفي قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ أي فناده ربه: يا موسى لا تخف من هذه الحية، إني لا يخاف لدي المرسلون، يقول: إني لا يخاف عندي رسلي وأنبيائي الذين أختصهم بالنبوة، إلا من ظلم منهم، فعمل بغير الذي أذن له في العمل به، وعن ابن جريج في قوله تعالى قال: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ إني إنما أخفتك لقتلك النفس، قال: وقال الحسن: كانت الأنبياء تذنب فتعاقب، هذا الكلام له وجهان: أحدهما أن يقول: إن الرسل معصومة مغفور لها آمنة يوم القيامة، وإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يخاف ويرجو، والآخر: أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا في الكلمة، لأن المعنى: لا يخاف لدي المرسلون، إنما الخوف على من سواهم، ثم استثنى فقال: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا ﴾ يقول: كان مشركا، فتاب من الشرك، وعمل حسنا، فذلك مغفور له، وليس يخاف، و-إلا- في اللغة بمنزلة الواو، فيكون المعنى: لا يخاف لدي المرسلون، ولا من ظلم ثم لدل حسنا، قال: وجعلوا مثله كقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ البقرة: 150[5]، أي ذنب قبل اصطفائه للرسالة[6]، وعن مجاهد قوله: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ ﴾ ثم من بعد إساءته ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وقال في النمل: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ رحيم ولم يقل مثل ذلك في القصص؛ لأنه لا يحسن أن يقال: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ رحيم يقل مثل ذلك في القصص؛ لأنه لا يحسن أن يقال: (إنك من الآمنين إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء) ولو قال هذا لم يكن كلاما[7].

([1]) تفسير الطبري ، 430/19

([2]) المصدر نفسه، 430/19.

([3]) التحرير والتنوير، 228/19.

([4]) تفسير مقاتل بن سليمان، 470/2-471.

([5]) تفسير الطبري، 433/19.

([6]) التحرير التنوير، 229/19.

([7]) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، 89/1.

وقله تعالى: ﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ النمل: 12، أي ولي موسى عليه السلام فزعا منها، لم يعقب، معناه لم يرجع على عقبه، من توليه فقال الله تعالى يا موسى أقبل فأقبل قد آمن بتأمين الله إياه، ثم أمره بأن يدخل يده في جيبه وهو فتح الجيب من حيث يخرج رأس الإنسان، وروي أن كم الجيب كان غاية الضيق فلا يمكن تدخل يده إلا في جيبه، و﴿ ٱسۡلُكۡ ﴾ معناه أدخل، وروي أن يده كانت تضيئ كأنها قطعة شمس، وقوله: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ ﴾ ذهب مجاهد وابن زيد إلى أن ذلك حقيقة، أمره بضم عضده وذراعه وهو الجناح إلى جنبه ليخف بذلك فزعه، ومن شأن الإنسان إذا فعلى ذلك في أوقات فزعه أن يقوى قلبه، وذهبت فرقة إلى ذلك على المجاز والاستعارة، وإنه أمره بالعزم على ما أمر به، وذلك لما كثر تخوفه في غير ما موطن[1]، وعن ابن حريج عن مجاهد: ﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي ﴾ قال: الكف فقط في جيبك، قال: كانت مدرعة إلى بعض يده، ولو كان لها كم أمره أن يدخل يده في كمه، وعن ابن مسعود: إن موسى أتى فرعون حيث أتاه في جبة صوف[2].

قال في النمل: ﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ ﴾، وقال في القصص: ﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ ﴾، لقد استعمل في سورة القصص أمر الفعل (سلك) الذي يستعمل كثيرا في سلوك السبل فيقال: سلك الطريق والمكان سلكا، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠ ﴾ [سورة نوح 20/19]، ذلك لأنه تردد سلوك الأمكنة والسبل في قصة موسى في سورة القصص، بخلاف ما ورد في النمل، فقد ورد فيها أي: سورة القصص سلوك الصندوق بموسى وهو ملقى في اليم إلى قصر فرعون، وسلوك أخته وهي تقص أثره، وسلوك موسى الطريق إلى مدين بعد فراره من مصر، وسلوكه السبيل إلى العبد الصالح، وسير موسى بأهله وسلوكه الطريق إلى مصر، حتى إنه لم يذكر في النمل سيره بأهله بعد قضاء الأجل، بل إنه طوى كل ذكر للسير والسلوك في القصة فقال مبتدئا: ﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ ﴾ بخلاف ما ورد في القصص، فإنه قال: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا ﴾ فحسن ذكر السلوك في القصص دون النمل[3].

ومن ناحية أخرى إن الإدخال أخص من السلك أو السلوك اللذين هما مصدر الفعل سلك؛ لأن السلك أو السلوك قد يكون إدخالا وغير إدخال، قال تعالى في النحل: ﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ﴾ الآية69، فانظر كيف قال (ذللا) ليدلل على سهولته ويسره، فناسب وضع السلوك في موطن السهولة واليسر، ووضع الإدخال في موطن المشقة التكليف الصعب، لقد ناسب الإدخال أن يوضع مع قوله: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ ﴾ وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا ﴾ ومهمة التبليغ إلى فرعون وقومه، وناسب أن يوضع السلوك في مقام الخوف، وأن يوضع الإدخال في مقام الأمن والثقة[4].

﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ قيل: المراد من ضم الجناح السكون، أي سكن روعك واخفض عليك جناحك، لأن من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه. وقيل: الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم إليك وأخرجها من كمك، لأنه تناول العصا ويده في كمه، فذانك يعني العصا واليد البيضاء برهانان يعني آيتان من ربك، وجاءت هذه الآية في القصص: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ ﴾ ولم يذكر مثل ذلك في النمل، و (الرهب) هو الخوف، وهو مناسب لجو الخوف الذي تردد في القصة، ومناسب لجو التفصيل فيها بخلاف ما في النمل[5].

([1]) المحرر الوجيز، 487/4.

([2]) تفسير الطبري، 436/19.

([3]) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، 90/1.

([4]) المصدر نفسه، 90/1.

([5]) ا لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، 91/1.

وقوله: ﴿رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ﴾ وبعده ﴿مَن جَآءَ﴾ بغير باء، الأول هو الأصل؛ لأن (أعلم) هذا فيه معنى الفعل، ومعنى الفعل لا يعمل في المفعول به، فزيد بعد باء؛ تقوية للعمل، وخص الأول بالأصل، ثم حذف من الآخر الباء؛ اكتفاء بدلالة الأول عليه[1].

وقوله: ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ﴾ تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى، ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ﴾ يقول: من غير برص[2]، وذكر بعض أهل العلم أن قوله: ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ﴾ في النمل الآية 12، وفي القصص (أسلك) أن لفظ - أدخل –، أبلغ من قوله أسلك؛ لأن اسلك يأتي لازما ومتعديا، وأدخل متعد لا غير، ولأن في هذه السورة تسع آيات أي مع تسع آيات مرسلا إلى فرعون، وخصت القصص بقوله: (اسلك) موافقة لقوله (اضمم)، ثم قال تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ﴾ فكان دون الأول فخص بالأدنى والأقرب من اللفظين[3].

قوله: ﴿تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓ﴾ قال: هي التي ذكر الله في القرآن العصا، واليد، والجراد، والقمل، الضفدع، والطوفان، والدم، والحجر، والطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم [4]، فآيتان منهما أعطى سبع آيات بأرض مصر حين كذبوه، فكان أولها اليد، وآخرها الطمس[5]، وقال في النمل: ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓ﴾ وقال في القصص: ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ فوسع دائرة التبليغ في النمل لمناسبة ثقة موسى بنفسه التي أوضحتها القصة، ولما وسع دائرة التبليغ وسع الآيات التي أعطاها، بخلاف ما ورد في القصص[6]، وبعض أهل العلم قال في قوله: قوله: ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓ﴾، وفي القصص ﴿﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾؛ لأن أشرف القوم وكانوا في هذه السورة موصوفين بما وصفهم الله به من قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ الآية 13، فلم يسهم بل سماهم قوما، وفي القصص لم يكونوا موصوفين بتلك الصفات فسماهم ملأ، وعقبه قول فرعون يا أيها الملأ ما علمت بكم من إله غيري[7]، في حين ليس الأمر كذلك في قصة النمل، فإنها ليس فيها ذكر للخوف إلا في مقام العصا، فاقتضى أن يكون التعبير مناسبا للمقام الذي ورد فيه [8].

قال في النمل: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾ وقال في القصص: ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ﴾ فقد أعطاه في النمل مقام ثقة وقوة وسع المهمة، فجعلهما إلى فرعون وقومه، ووسع الآيات فجعلها تسعا، ولما كان المقام مقام خوف في القصص ضيق المهمة، وكل تعبير وضع في كانه المناسب[9].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ الآية 13، أوجز بقية القصة وانتقل إلى العبرة بتكذيب فرعون وقومه الآيات، ليعتبر بذلك حال الذين كذبوا بآيات محمدﷺ ، وقصد من هذا الإيجاز طي بساط القصة لينتقل منها إلى قصة داود ثم قصة سليمان المبسوطة في هذه السورة، والمراد بمجيء الآيات حصولها واحدة بعد أخرى وهي الآيات الثمان التي قبل الغرق[10].

([1]) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 355/1.

([2]) المصدر نفسه، 436/19.

([3]) أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، 192/1.

([4]) تفسير الطبري، 436/19.

([5]) تفسير مقاتل بن سليمان، 470/2-471.

([6]) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، 91/1.

([7]) أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، 192/1

([8]) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، 72/1.

([9]) المصدر نفسه، 91/1.

([10]) التحرير والتنوير، 232/19.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ إن فرعون وقومه من القبط كانوا قوما فاسقين، يعني كافرين بالله[1]،وقيل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ الآية:13، يعني عاصين[2].

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ النمل: ،14 فعن ابن جريج يقول: قال فرعون وقومه، هذا الذي جاءنا به موسى سحر مبين، يقول: يبين للناظرين له أنه سحر[3]، ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ النمل: 13، فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أي مبينة معاينة يرونها، قالوا: يا موسى هذا الذي جئت به سحر مبين، يعني بين [4]، وقوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾ أي كذبوا بالآيات التسع، فعن ابن جريج قال: الجحود هو التكذيب بها، وقوله:

﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أي وعلموا يقينا انها من عند الله، فعاندوا بعد تبينهم الحق، فعن ابن عباس قال: يقينهم في قلوبهم[5]، وإنما استيقنوا بالآيات أنها من عند الله، لدعاء موسى ربه أن يكشف عنهم الرجز، فكشف عنهم، وقد علموا ذلك[6]، وعن ابن جريج في قوله تعالى قال: ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ تعظما واستكبارا.

وقوله: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾، أي فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة، وماذا حل بهم من إفسادهم في الأرض ومعصيتهم فيها ربهم(7)، وقيل ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي في الأرض بالمعاصي، فكان عاقبتهم الغرق[8].

ما اختصت به سورة القصص:

يقول الله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

فمهد لنبإ موسى وفرعون بقوله: ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ﴾ للتشويق، لهذا النبإ لما فيه من شتى العبر بعظيم تصرف الله في خلقه، واللام في قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لام التعليل، أي لأجل قوم يؤمنون أن ينتفع بذلك قوم يؤمنون، فهو تنويه بأنهم الذين ينتفعون بالعبر والمواعظ[9]، أي فنقرأ عليك ونقص في هذا القرآن من خبر موسى وفرعون، و ﴿بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بقوم يصدقون بهذا الكتاب، ليعلموا أن ما تتلوا عليك من نبئهم فيه نبؤهم، وتطمئن نفوسهم، بأن سنتنا فيمن خالفك وعاداك من المشركين، سنتنا فيمن عادى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل من فرعون وقومه، أن نهلكم كما أهلكناهم، وننجيهم منهم كما أنجيناهم[10].

([1]) تفسير الطبري، 434/19.

([2]) تفسير مقاتل سليمان، 470/2-471.

([3]) تفسير الطبري، 434/19.

([4]) تفسير مقاتل بن سليمان، 470/2-471.

([5]) تفسير الطبري، 435/19.

([6]) تفسير مقاتل بن سليمان، 471/2-471.

([7]) تفسير الطبري، 435/19.

([8]) تفسير مقاتل بن سليمان، 470/2-471.

([9]) التحرير والتنوير، 64/20.

([10]) تفسير الطبري، 150/18.

﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ وابتدأت القصة بذكر أسبابها لتكون عبرة للمؤمنين، فلولا تجبر فرعون لما خرج بنو إسرائيل من ذل العبودية[1]. والأرض: هي أرض مصر، فالتعريف فيها للعهد؛ لأن ذكر فرعون يجعلها معهودة عند السامع لأن فرعون اسم ملك مصر، ومن البلاغة اختياره هنا ليدل على أنه جعل أهل بلاد القبط فرقا ذات نزاعات تتشبع كل فرقة إليه وتعادي الفرقة الأخرى ليتم لهم ضرب بعضهم ببعض، وقد أغرى بينهم العداوة ليأمن تألبهم عليه كما يقال[2] ، فكان يسومهم العذاب، والطائفة المستضعفة هي طائفة بني إسرائيل[3].

وقوله: ﴿ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا ﴾ القصص: 4، يعني بالشيع: الفرق، يقول: وجعل أهلها فرقا متفرقين[4]، وقوله: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ القصص: 6، يقول: ونوطئ لهم في أرض الشام، ﴿وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا ﴾ القصص: 6، كانوا قد أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل، فكانوا من ذلك على وجل منهم، ولذلك كان فرعون يذبح أبناءهم، ويستحي نساءهم، فأرى الله فرعون وهامان وجنودهما من بني إسرائيل على يد موسى بن عمران نبيه ما كانوا يحدرونه منهم من هلاكهم وخراب منازلهم ودورهم[5].

﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ القصص: 7، والوحي هنا وحي إلهام، يوجد عنده من انشراح الصدر ما يحقق عندها أنه خاطر من الواردات الإلهية، وإنما أمرها الله بإرضاعه لتقوي بنيته بليان أمه، فإنه أسعد بالطفل في أول عمره من لبان غيرها[6]، ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ القصص: 7، قال قتادة: قدفنا في قلبها [7]، والقول في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴾ القصص: 8، واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿ءَالُ فِرۡعَوۡنَ ﴾ سورة البقرة: 49، في هذا الموضع، فقال بعضهم: عُنِيَ بذلك جواري امرأة فرعون، وقال آخرون: بل عني به ابنة فرعون. وقوله: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا ﴾القصص: 8، ليكون في عاقبة أمره عدوا وحزنا لما أراد الله به، وليس لذلك أخذوه، ولكن امرأة فرعون قالت: ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ ﴾ القصص: 9، فكان قول الله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا ﴾ القصص: 8، لما هو كائن في عاقبة أمره لهم، وقال قتادة في قوله: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا ﴾القصص: 8، عدوا لهم في دينهم، وحزنا لما يأتيهم[8].

قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ﴾ القصص: 14، أي كمل أربعين سنة، وقيل: كمل عقله، وقيل خرجت لحيته، ﴿ أَشُدَّهُۥ ﴾ أي شدة البدن واستحكام أسره وقوته، ﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ ﴾ معناه تكامل عقله وحزمه، وذلك عند الجمهور مع الأربعين، و ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حكما وعلما﴾ حكما: أي الحكمة، و (العلم): والعرفة بشرع إبراهيم عليه السلام وهي مقدمة نبوته عليه السلام[9].

([1]) التحرير والتنوير، 66/20.
([2]) المصدر نفسه، 66/20.
([3]) التحرير والتنوير، 68/20.
([4]) تفسير الطبري، 152/18.
([5]) المصدر نفسه، 154/18.
([6]) التحرير والتنوير، 68/20.
([7]) تفسير الطبري، 157/18.
([8]) المصدر نفسه، 162/18.
([9]) التحرير والتنوير، 87/20.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ القصص: 15، ﴿ وَدَخَلَ ﴾ أي موسى، ﴿ٱلْمَدِينَةَ ﴾ مدينة منف من مصر، ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ وذلك عند القائلة نصف النهار، واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله دخل موسى هذه المدينة في هذا الوقت، قال ابن زيد في قوله: ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ ليس غفلة من ساعة، ولكن غفلة من ذكر موسى وأمره[1]، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ ﴾، بالذي من شيعته أنه رجل من بني إسرائيل، ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ المقصود به رجل من القبط قوم فرعون[2]، ومعنى كون ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ يجوز أن يكون المراد بهذين الوصفين أن موسى كان يعلم أنه من بني إسرائيل بإخبار قصة التقاطه من اليم، وأن تكون أمه قد أفضت إليه بخبرها وخبره كما بقدم، فنشأ موسى على عدوه القبط وعلى إضمار المحبة لبني إسرائيل، وأنا وكزه القبطي فلم يكن إلا انتصار للحق على جميع التقادير[3].

وقوله تعالى: ﴿يَقْتَتِلَانِ ﴾ في موضع الحال أي مقتتلين، وشيعته بنو إسرائيل، وعدوة القبط، و(الوكز) الضرب باليد، معناه قتله مجهزا، وكان موسى عليه السلام لم يرد قبل القبطي لكن وافقت وكزته الأجل، وكان عنها موته فندم ورأى أن ذلك من نزغ الشيطان في يده، وأن الغضب الذي اقترنت به تلك الوكزة كان من الشيطان ومن همزه، ونص هو عليه السلام على ذلك وبهذا الوجه جعله من عمله وكان فضل قوة موسى ربما أفرط في وقت غضبه بأكثر مما يقصد[4]، ولولا الخاطر الشيطاني لاقتصر على زجر القبطي أو كفه عن الذي من شيعته، فلما كان الشيطان عدوا للإنسان وكانت له مسالك إلى النفوس استدل موسى بفعله المؤدي إلى قتل نفس إنه فعل ناشئ عن وسوسة الشيطان ولولاها لكان عمله جاريا على الأحوال المأذونة[5]، ولا التفات في هذا إلى جواز صدور الدنب من النبئ؛ لأنه لم يكن يومئذ نبيا.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ القصص: 17. ولعل هذا الكلام ساقه مساق الاعتبار عن قتله القبطي وثوقا بأنه قتله خطأ[6]، ولأن قتل النفس مستقبح في الشرائع البشرية فإن حفظ النفس المعصومة من أصول الأديان كلها، كان موسى يعلم دين آبائه.

ثم قال ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ ﴾ والجيئة والمجيء بمعنى الإتيان لكن المجئ أعم؛ لأن الإتيان مجيئ بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه لحصول، والمجيء يقال اعتباراً بالحصول[7]، وقوله: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾، يحتمل ثلاثة أوجه أحدها: أن يكون من أقصى المدينة صفة لرجل، والثاني: أن يكون صلة لجاء، والثالث: أن يكون صلة ليسعى والأظهر في هذه السورة أن يكون وصفا[8].

([1]) تفسير الطبري، 183/18.

([2]) التحرير والتنوير، 89/20.

([3]) المصدر نفسه، 89/20.

([4]) المحرر الوجيز، 280/4.

([5]) التحرير والتنوير،90/21.

([6]) التحرير والتنوير، 92/20.

([7]) المصدر نفسه، 411/2-412.

([8]) أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن، 194/1.

نتائج الدراسة:

1- إن تشابه أساليب سرد القصة الواحدة في أكثر من موضع من القرآن، تلك هي سمته الغالبة على معظم قصصه، إذ لم يأت فيه غير متشابه إلا القليل مثل قصة يوسف عليه السلام.

2- إيراد القصة في القرآن لم يكن على نمط واحد، فهناك اختلاف في الصياغة، وهناك اختلاف في الطول والقصر التي تتناولتها تلك الأحداث[1].

3- إن عادة العرب في خطابتها إذا اهتمت بشيء – أرادت تحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء إليه كررته توكيداً، بل وربما عدوه من البديع عندهم، كقول الشاعر:

هلا سألت جموع كندة ... يوم ولوا أين أينا[2]

وقول الآخر: (فكادت فرزارة تصلي بنا ... فأولى فزارة أولى فزارا) [3]

ونظيرة من القرآن كثير، وهذا معنى آخر على المتشابه، لأنه يفيد الإخبار عن الغيب[4].

4- في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتا لها في الصدور، ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يرام تحفظه منها، فكان ذلك المتشابهة أمكن له في القلوب، وأرسخ له في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان[5].

5- كانت العرب تستجير الإطالة والتكرار تارة إذا ظنوا أن ذلك أبلغ في مرادها وأنجع، وتقتصر على الاختصار أخرى في مواطن الاختصار، فخاطبهم الله سبحانه على ما جرت عليه عادتهم[6].

6- إن جسم القصة كله لا يكرر إلا ناذرا، مما يجعل القارئ المتأمل لكتاب الله يشعر وكأنه أمام قصة أو خبر لم يكن ليسمع بها من قبل، ثم أن الله سبحانه أنزل المتكرر في أوقات متغايرة، وأسباب مختلفة فحسن ذلك منه وساغ على عادة أهل اللسان[7].

7- وتبعا للعرض الذي سبقت من أجله القصة القرآنية، نجد القرآن تارة نذكر القصة بكامل تفصيلاتها، وتارة يكتفي بذكر ملخص عنها أو إشارة إليها، وتارة يتوسط بين هذا وذاك، وربما اكتفى أحيانا بعرض حلقة من حلقاتها، أو مشهد من مشاهدها[8]،

8- مع أن القصة القرآنية لا تدع القارئ يتفاعل معها وينصرع إليها بكل تفكيره، دون ان تفصل بين حلقاتها بفواصل من العظات والعبر.

9- القصة حوار وتتحول إلى التذكير بما يتناسب مع السياق مع العظات والتوجيهات، فتتذكر بعظمة الله تعالى، وتبعث في النفس الشعور بوجوب شكره على عظيم آلائه ووافر فضله، ولا تغفل أن تذكر بالموت ثم البعث والنشور والوقوف بين يدي هذا الخالق.

10- فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها[9].

([1]) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبدالعظيم إبراهيم محمد المطعني، 133/ 135.

([2]) البيت لعبيد بن الأبرص راع خزائن الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، القاهرة، ط/4، 1418هـ-1997م، 2-214.

([3]) البيت لعوف بن عطية بن الخرع الريابي، راجع كتاب: المفضليات، المفضل بن محمد الضبي، تحقيق: أحمد محمد شاكير وعبد السلام السلام محمد هارون، دار المعارف- القاهرة، ط: 6، 416/1.

([4]) إعجاز القرآن، أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني، دار المعارف، القاهرة، تحقيق: السيد أحمد صقر، 106/1.

([5]) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، 133-135.

([6]) الانتصار للقرآن، 800/2.

([7]) المصدر نفسه، 802/2.

([8]) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، 135/133.

([9]) المصدر نفسه، 135/133.

ثبت مصادر ومراجع الدراسة

1- أسرار التكرار في القرآن، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني، نشر : دار الاعتصام – القاهرة، الطبعة الثانية، 1396، تحقيق: عبد القادر احمد عطا،ج1.
2- إعجاز القرآن، أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني، دار المعارف- القاهرة، تحقيق: السيد أحمد صقر,
3- الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: محمد عصام القضاة، دار الفتح- عمان، دار ابن حزم- بيروت، ط1/ 1422ه- 2001م.
4- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر، ب ط 1407ه-1986م.
5- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: محمد على النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامية- القاهرة، ب ط، 1416ه- 1996م.
6- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، التونسية للنشر- تونس، 1984م، ب ط.
7- التفسير القرآني للقرآن، عبد الحكيم يونس الخطيب، دار الفكر العربي- القاهرة، ط 9.
8- مسند الطبراني، مكتبة العلوم والحكم- الموصل، ط2، 1404-1983.
9- تفسير مقاتل بن سليمان، طبعة دار الكتب العلمية.
10- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1/1420ه-2000م.
11- خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط4/1997م.
12- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، ط1/ 1413ه-1992م.
13- دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد أحمد الغلوش، مؤسسة الرسالة، ط1/ 1423ه- 2002م.
14- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار.
15- صحيح البخاري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1/ 1422ه- 2002م.
16- الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط4/1408ه-1987م.
17- صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
18- علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد الحلبي، مطبعة الصباح- دمشق، ط1/ 1414ه- 1993م.
19- قصص الأنبياء لابن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف- القاهرة، ط1/ 1388ه- 1968م.
20- الكامل في التاريخ، على بن أبي الكرم الجزري، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط1/ 1417ه-1997م.
21- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل.
22- مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3/ 1421ه- 2000م.
23- المحرر والوجيز، لابن عطية، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1/ 1422ه.
24- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مكتبة المعارف- الرياض، ط1/1408ه-1987م.
25- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد العباس، المكتبة العلمية- بيروت.
26- مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف، مكتبة الرشد- الرياض، ط1/ 1409م.
27- المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
28- المفضليات، المفضل بن محمد الضبي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف – القاهرة: ط6.
29- من روائع القرآن- تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط 1420ه-1999م.
30- الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرع الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية- بيروت، ط1/1420ه.
31- نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد محمد معبد، دار السلام القاهرة، ط2/ 1426ه-2005م.
32- الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية- دمشق، ط2/ 1418ه- 1998م.